مـــركز أفـــكار للـــدراسات والأبـــحاث

Afkaar Center for Studies and Research

كيف نتعامل مع المصطلحات والمفاهيم في فكرنا العربي المعاصر؟

مراجعة كتاب: المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي

تأليف الدكتور سعيد شبار

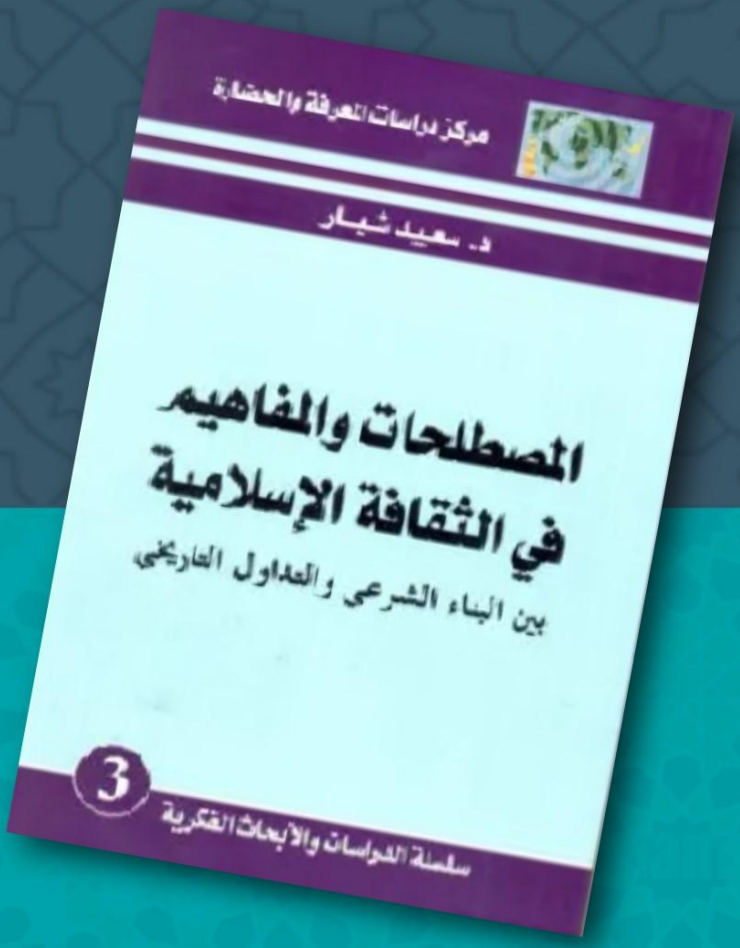

الباحثة / ليلى ثمراوي

كيف نتعامل مع المصطلحات والمفاهيم في فكرنا العربي المعاصر؟

مراجعة كتاب: المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي

تأليف الدكتور سعيد شبار

ليلى ثمراوي

1. عرض بيانات الكتاب:

- **اسم الكاتب**: سعيد شبار
- **عنوان الكتاب**: المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي
- **أعداد الصفحات**: 158 صحيفة.
- **دار النشر**: مركز دراسات المعرفة والحضارة
- **سنة النشر**: 1438هـ - 2017م
- **رقم الطبعة**: الطبعة الثالثة (مزيدة بفصل)

2. المؤلف في سطور:

هو من مواليد سيدي عيسى أولاد مراح التابعة لإقليم بني ملال- المغرب سنة 1963م. حصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية بكلية الآداب جامعة الحسن الثاني سنة 1987م والمعمقة من دار الحديث الحسنية بالرباط سنة 1989م ودبلوم الدراسات العليا تخصص الفكر الإسلامي والحضارة جامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1990م. وحصل على شهادة دكتوراه الدولة بالكلية ذاتها سنة 2000م. وقد أتيح له الالتحاق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال بصفته أستاذا للفكر الإسلامي والحضارة، والعقيدة والأديان المقارنة. وهو من أبرز مفكري وعلماء المدينة، وكان رئيس مجلسها العلمي المحلي. وخلال شهر شتنبر من سنة 2023م عين من طرف صاحب الجلالة الملك محمد السادس كاتبا عاما للمجلس العلمي الأعلى. تولى مناصب أكاديمية عدة منها: رئيس وحدة التكوين والبحث للسلك الثالث: الفكر الإسلامي وحوار الأديان والحضارات، بكلية الآداب بني ملال. رئيس مركز دراسات المعرفة والحضارة، ورئيس مجموعة البحث في المصطلح، بذات الكلية. عضو بالعديد من الجمعيات العلمية والثقافية. وأستاذ زائر للعديد من الجامعات الوطنية والدولية. من كتبه: النص

الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر[1]، النخبة والإيديولوجيا والحداثة في الخطاب العربي المعاصر[2]، والاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية[3].. له عدد من الأبحاث والمقالات المنشورة في مجالات الفكر العربي والإسلامي والأديان وتحديات الفكر الغربي...

3. تمهيد:

تأتي هذه المراجعة لتعرض إشكال المصطلحات والمفاهيم في الفكر الإسلامي من خلال كتاب (المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي) لمؤلفه الدكتور سعيد شبار.

تم تأليف هذا الكتاب لرصد وتتبع عملية البناء والازدهار والانهيار في العلوم التي تشكل ثقافة الأمة، وذلك من مدخل المصطلحات والمفاهيم المعبرة عنها؛ فيتناول المقارنة بين البناء الشرعي للمصطلحات والمفاهيم المستوعبة للزمان والمكان والمستمدة خصائصها من القرآن الكريم، وبين تداولها التاريخي النسبي المتغير عبر الزمان والمكان. ويهدف إلى تنبيه القارئ إلى ما اعترى ذلك التداول التاريخي النسبي للمصطلحات والمفاهيم من هيمنة وسيطرة أعاقت حركة وفاعلية المفهوم الشرعي الأصلي، مما حول تلك المصطلحات والمفاهيم من مفاتيح للعلوم إلى مغاليق أعاقت العلاقة بين الأمة ونصوص الشريعة، وأثارت خلافات وصراعات كان بإمكان الأمة تجنبها.

يسلط الكتاب الضوء –أيضا– على واقع تداول مفاهيم ومصطلحات اللغة العربية في العصر الراهن في العلوم الإسلامية والإنسانية والطبيعية، مقارناً استعمالها بين الماضي والحاضر؛ فيشير إلى أن الأمة لم تعد تمتلك الدور البنائي والتوحيدي العمراني الذي كانت تتمتع به عندما كانت لغته العربية لغة العلم والمعرفة والحضارة الإنسانية الكونية. ويؤكد الكتاب على أن المصطلح في العلوم الإسلامية والإنسانية والتجريبية يعتبر المعبر الأول عن هُوية الأمة وذاتها وأصالتها، وهو المدخل الأول لاستلحاقها واستتباعها وتجريدها من مقومات الهوية والذات.

هذا الكتاب هو بمثابة زيارة طبية معرفية مقاربة للأسس المرجعية والمنهجية لمسألة المصطلح في فكرنا العربي والإسلامي المعاصر؛ حددت بعد تشريح دقيق لأعضاء الأمة سبب الضعف والضمور فيها وقدمت وصفة طبية ناجعة لنهوض الأمة واستشرافها الحضاري المتجسدة في طلب الأمة الاهتمام بلغتها وإيلاء مصطلحاتها ومفاهيمها العناية التامة.

---

[1] شبار، سعيد، **النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر**، م.ن: منشورات الفرقان، ط1، 1999.

[2] شبار، سعيد، **النخبة والأيديولوجيا والحداثة في الخطاب العربي المعاصر**، بني ملال: مركز دراسات المعرفة والحضارة، ط2، 2012.

[3] شبار، سعيد، **الاجتهاد والتجديد في الفكر العربي المعاصر: دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية**، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2007م.

"أصله الأول تمهيد لأطروحة دكتوراه الدولة في موضوع الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية والتي كانت تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد أمين السماعيلي. أصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي. تناول خلالها طائفة من المفاهيم في سياقات تداولية مختلفة قديما وحديثا استلزمت هذا الإطار النظري الناظم للتداول المفهومي هدفه الأساس التنبيه إلى بعض المخاطر في معركة المصطلحات. وقد كان سبب فصله له عن الموضوع الأصل ضخامة حجم الأطروحة التي ناهزت حوالي السبعمائة صفحة. ثمّ فصل الأطروحة إلى كتابين مستقلين؛ الأول: هو هذا الذي بين أيدينا[1]. قسّم إلى تقديم ومقدمة وأربعة عناوين؛ (في ضرورة العناية بالمصطلح الحامل للمفهوم: تجربة الأمة التاريخية، من خصائص المفاهيم في القرآن الكريم ومحدداته المنهاجية، في الاستعارة والنقل: الإمكان والشروط في التجربة التاريخية والمعاصرة) وذيّل بخاتمة. أما الثاني فكان بعنوان: الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر[2].

نُشر أول مرة ضمن سلسلة كتاب الأمة (رقم 78) مصحوبا بمقدمة كتبها الدكتور عمر عبيد حسنة مدير السلسلة[3] إلا أنه لم يوزع في المغرب. ثم أولته الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى اهتماما كبيرا وطبع طبعة ثانية قدّم لها الأستاذ الدكتور محمد يسف وكانت نسخة مزيدة ووزع توزيعا محدودا. أما الطبعة الثالثة فتعتبر هي الأخرى طبعة مزيدة بفصلين الأول عن خصائص المفاهيم القرآنية مفهوما الهداية والتغيير نموذجا والثاني عن المحددات المنهاجية في القرآن الكريم محدد الاكمال والاتمام نموذجا. ونشر ضمن سلسلة البحوث والدراسات باسم مركز دراسات المعرفة والحضارة. وبما أن هدف هذه المراجعة هو الإجابة عن السؤال المحوري الذي يمثّل أطروحة الكتاب فلن أتناول الفصلين المضافين لأنهما تطبيقين واضحين لما سطره من قواعد نظرية في ثنايا الكتاب"[4].

وللإجابة عن التساؤل المصاحب لعنوان الكتاب قسمت عناوينه الكبرى إلى أربعة عناوين، خصصت كل واحد منها بسؤال أجاب عنها المؤلّف في ثنايا الكتاب.

---

[1] شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، بني ملال: مركز دراسات المعرفة والحضارة ضمن سلسلة الدراسات والأبحاث الفكرية 3، ط3، 2017م-1438هـ.

[2] كتب الدكتور عبد الرحمن العضراوي قراءة حول الكتاب. ينظر: العضراوي، عبد الرحمن، **قراءة في كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية تأليف: الدكتور سعيد شبار**، *الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا)*، مجلد14، عدد53، 2008م. https://doi.org/10.35632/citj.v14i53.1183

[3] شبار، سعيد، **المصطلح خيار لغوي.. وسمة حضارية**، ط1، قطر: سلسلة كتاب الأمة، العدد 78، 1421هـ.

[4] انظر: شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 5، 6.

أولا: كيف نتعامل مع المصطلح الحامل للمفهوم؟

تتميّز كتابات د. شبار المتعلقة بالمصطلحات والمفاهيم بالعودة إلى مصطلحات تاريخ الصدر الأول والغوص في مدلولاتها ومقارنتها بتداولات المصطلح في الحاضر وهذا له ارتباط وثيق بعنوان الكتاب؛ فالبناء الشرعي هو ما سطر في القرآن والسنة وتعامل به الصحابة والتابعون. أما التداول التاريخي فهو ما أُثّل وسبك وفق تحيزات تسند مذهبا أو فرقة أو طائفة. ولهذا تجد د. شبار يدعو إلى التمسك بالمصطلح الشرعي فهو بالنسبة له منقذ الأمة ومعينها على التقدم والازدهار.

1- في المصادر الشرعية

يشكل اللفظ القرآني والحديثي نسقا قويا متماسكا استطاع أن يستوعب ويحول ألفاظا ومعان تحويلا كاملا لتعبر تعبيرا جديدا وتدل دلالة جديدة تخدم المبادئ والقيم الجديدة للأمة. وقد صور د. شبار للقارئ ما استوعباه وقاما بتجديده؛ أما القرآن الكريم فأعطى خلال تنزّله ألفاظه معاني محكمة في العقيدة والشريعة إجمالا وتفصيلا. ويأتي فهم معاني ألفاظه المرادة بتتبع استقرائي لمواطن ورود اللفظ الواحد سواء اتحدت المعاني أم اختلفت. وقد تجاوز القرآن حد ضبط ألفاظه ومصطلحاته ودلالاتها القطعية والظنية إلى تقويم اللسان في النطق والكلام بانتقاء أحسن الألفاظ وأبلغها في أداء المعنى. فالقرآن مارس ثلاثة أنواع من التعديلات على الألفاظ التي كانت متداولة في اللسان العربي عند نزوله؛ إما أن يعدل اللفظ تعديلا كاملا ويعطيه دلالة شرعية جديدة لم تكن له قط في السابق وإما أن يعدل في اللفظ تعديلا بسيطا فيحافظ على جزء من دلالته ويضيف عليه دلالات أخرى وإما أن يحافظ عليه كما هو إذا كانت دلالته معتبرة من حيث الناحية الشرعية. وهذا في سائر الألفاظ التعبدية والعادية. وأما الحديث النبوي الشريف فلم يخرج عن منهجية القرآن في ضبط معاني ومفاهيم المصطلحات أو إعطائها مضامين ودلالات جديدة أو الترغيب والندب إلى استعمال بعضها وكراهة استعمال البعض الآخر. ونجد ذلك في السنة أكثر بحكم أنها تفصيل وبيان لكتاب الله تعالى. وقد ذُكر عن فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تكلم بألفاظ اقتضبها لم تسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها.... في ألفاظ عديدة تجري مجرى الأمثال ويدخل في هذا إحداث الأسماء الشرعية. وتطالعنا كتب الحديث أيضا بأبواب وأحاديث فيها دعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم للتسمي بأسماء وعدم التسمي بأسماء أخرى. وتتضمن كثير من كتب الحديث والسيرة وتراجم الصحابة ما يدل على ذلك أيضا... ويدل على أن اختيار وانتقاء الألفاظ الحسنة هو شرط ومدخل مهم للدلالة على المعاني والمقاصد الحسنة. وأكبر من ذلك ما حدده الرسول صلى الله عليه وسلم من معاني ألفاظ ومصطلحات تدخل في منهج الدعوة والتزكية الأخلاقية والإيمانية والاجتماعية، وإعطاء اللفظ مفهوما آخر غير مفهومه المادي مفهوما معنويا وأخلاقيا وتربويا يدل -وإن كان المراد منه تقريب المعنى للفهم عن طريق التشبيه والتمثيل- على إمكانية استثمار المصطلح في الاتجاه الإيجابي وخلق نوع من التوازن بين دلالته الحسية والمعنوية.

2- في التمييز بين المستويات اللغوية والشرعية والاصطلاحية

فرّق د. سعيد شبار بين ثلاثة مستويات اعتبرها ضرورية للعناية بالمصطلح الحامل للمفهوم وهي المستوى اللغوي والمستوى الشرعي والمستوى الاصطلاحي. ونبه إلى الخلط الكثير الحاصل بين المستوى الشرعي والمستوى الاصطلاحي التاريخي (أي بين مستوى المصطلح الأصل (القرآني والسني) وبين المصطلح التاريخي التراثي)؛ إذ عدم التمييز بينهما شوه كثيرا من المعاني الدينية وأعطى تنزيها وقدسية لكثير من المعاني والمفاهيم التراثية. فمع أهمية المصطلح التراثي التاريخي وكونه تعبيرا عن اجتهاد وديناميةالعقل المسلم إلا أنه لابد من الانتباه إلى أنها مصطلحات مدرسية تنتمي إلى فرع علمي معين تفهم بحسبه لكن لا ينبغي أن يحتل هذا الاصطلاح كل المساحة. فالمصطلح الشرعي معتبر بتعريف الشارع وهو الناظم المنهجي الرابط الموحد لرؤية وتصور ومنطلقات وغايات الأمة.

3- نماذج من تبدل الألفاظ وأثر ذلك في العلوم

صوّر د. شبار للقارئ حجم اتساع الهوة بين الأمة وبين المتح من معين ألفاظ كتابها باختياره علمين من أعلام القرن الخامس الهجري، ليعرف المتأمل الحاجة الملحة للاهتمام بالمصطلح الحامل للمفهوم؛ فالغزالي(توفي: 505هـ) قدّم بيانا عن ألفاظ العلوم محاولا بذلك رد اللفظ إلى معناه الأصلي الذي كان يدل عليه دلالة شاملة وعامة ثم ذكر ما طرأ عليه بعد ذلك من معان في الاستعمالات المتأخرة عن طريق ما يسميه بالتصرف بالتخصيص وذلك عندما يعمد إلى إحدى الدلالات الجزئية للفظ فيحمل عليها دون سواها وتصبح هي المعبر الوحيد عن مضمونه ومعناه وتتالى على ذلك الاستعمالات حتى ينسى ويغيب المعنى الأصلي أو يكاد إلا أن الغزالي على قوة ملحظه لم يسلم مما اعترض به على غيره كما في تعريفه للتوحيد وحمله له على نفي الأسباب والوسائط وغير ذلك. أما ابن حزم الاندلسي (توفي: 456هـ) فتحدث عن الألفاظ الدائرة بين أهل النظر وعن الخلط بين المعاني وقام بتعريف ما يربو عن ثمانين لفظا قاصدا معنى كل لفظة على حقيقتها.

نبّه د. شبار على ضرورة ضبط الألفاظ والمصطلحات ومعانيها في المجال الفقهي خاصة لما يترتب على ذلك من فهم معين للأحكام وإصدار للفتاوى، مستعينا بقول لابن عبد السلام الفقيه الذي عقد فصلا سماه "فصل فيما أطلق لفظا لا يعرف معنى لم يؤاخذ بمقتضاه"، وقول لابن القيم عن "مسائل يرجع فيها المفتي إلى العرف" داعيا إلى التفكر فيها لاستنباط منهج في الفهم والتعامل الواقعي مع النوازل التي تجرد عنها الفقه عبر القرون أو كاد. وذلك لن يتأتى -حسب الكاتب- إلا بضبط اللفظ ومعناه شرعا أو عرفا. مشيرا إلى خطورة عدم ضبطه في العقائد وأصول الدين.

خلال قراءتي لهذه الجزئية لاحظت أن الدكتور شبار ألمح إلى أمرين أساسيين؛ الأول يمكن عنونته بـ: في رسالة المفهوم والمصطلح والثاني: منهجية التعامل مع اللفظ القرآني (فهما وتنزيلا). وهما كالآتي:

أ- في رسالة المفهوم والمصطلح:

تعتبر الجولة التاريخية السابقة رسالة للمفهوم والمصطلح، أشار من خلالها د. شبار إلى:

1. "أهمية الرسالة الفكرية والمهمة الحضارية للمصطلح والقاموس فهو الأداة الطبيعية لرؤية وفهم وتفسير تراث أمتنا إن في الفكر النظري أو في التطبيقات التي مثلت واقع الأمة وتجربتها بهذا الميدان ففيه المعاني المنضبطة لمصطلحات الفكر وواقع الحياة وهو السبيل إلى وضع لبنة في صرح الاستقلال الحضاري لأمتنا عندما يضع وييسر للعقل العربي والمسلم سبل إدراك ما لحضارتنا من خصوصية في المعاني والمضامين والمفاهيم.
2. أهمية منهج الدراسة المصطلحية الذي يتصدى أساسا لضبط المفاهيم المكونة لأي نسق"[1].

ب- منهجية التعامل مع اللفظ القرآني (فهما وتنزيلا)

قدّم د. شبار منهجية للتعامل مع النص القرآني نوّه خلالها على أهمية التفسير كمدخل للتعامل مع اللفظ والنص القرآني وهي كالآتي[2]:

1. يجب على من أراد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة ليفرق بينها وبين ما ورد في القرآن فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى.
2. على المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله وأن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه... ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه.
3. لا مناص من أن نعيد النظر في مفاهيم المصطلحات الحادثة في حياة الأمة لنوازن بين آثارها السلبية والإيجابية فنخرج من حياتنا تلك المصطلحات التي أدت مهماتها المرحلية ونعود إلى مشروعية الشمولية الإسلامية حتى تربط الجزر الإسلامية الصغيرة (أي مصطلحات تحتها جماعات كالسلفية والصوفية وغيرها) المعزولة بعضها عن بعض في إطار خصائص الفكر الإسلامي الحديث ليعود مفهوم الأمة الواحدة المتوازنة في عقائدها المنطلقة إلى تحقيق أهدافها الضخمة في إعادة صياغة الشخصية الإسلامية المتكاملة.

ثانيا: ما هي خصائص المفاهيم في القرآن الكريم ومحدداته والمنهاجية؟

أشار د. شبار في بداية هذا العنوان إلى ما تمتاز به المفاهيم القرآنية أرصدها كالآتي[3]:

---

[1] المرجع السابق، ص 39.

[2] المرجع السايق، ص36.

[3] المرجع السابق، ص41.

1. أنها وحدة كلية لا تتجزأ.
2. أنها شبكة ومنظومة بينها من الوشائج والترابط وبينها من الوحدة والتكامل ما يجعل كل مفهوم يستمد من المفهوم الآخر قليلا أو كثيرا.
3. أنها مفاهيم ذات وحدة كلية تحدد تصورا معينا ثم بعد ذلك تنتقل إلى الوحدات الجزئية المنضوية تحت هذه الوحدة الكلية.

وأكد على الاهتمام بالألفاظ والمفاهيم القرآنية لما تحمله من خصائص كثيرة بعضها ظاهر وبعضها ما يزال خفيا، وذكر من بين تلكم الخصائص ما يلي[1]:

- المفاهيم القرآنية محفوظة بحفظ القرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فالمفهوم في أصله محفوظ بحفظ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإن طرأ خلل أو تشويش في فهمنا لمفهوم قرآني فهو راجع لتقصيرنا في فهمه والتعرف على دلالاته ومعانيه.
- المفاهيم القرآنية تامة ولهذا عندما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينا﴾ [المائدة: 4] فشمل الإتمام هنا كل ما في الإسلام بما في ذلك كلمات الإسلام كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: 116] فهي تامة بمعنى أننا لا يمكن أن نجد بناء أكمل وأحسن وأصح من البناء القرآني للمفهوم لأنه من الله تعالى ولأنه وحي ولأنه مطلق ولأنه محفوظ. ويبقى فهم الإنسان قاصرا متغيرا حسب الزمان والمكان والإنسان يدرك من المفهوم القرآني نسبا وأقدارا متفاوتة بحسب مؤهلات كل جيل ومرحلة لاستحالة تماهيه مع الكلي المطلق الكامل.
- المفاهيم القرآنية مطلقة تابعة لإطلاقية الوحي المستوعب للزمان والمكان والإنسان. فلا يمكن لأي مفهوم من هذه المفاهيم أن يتحيز في مرحلة زمنية معينة.
- المفاهيم القرآنية مستوعبة باعتبارها نسقا منفتحا غير منغلق فخاصية الاستيعاب مهمة في المفاهيم الإسلامية لأنها قادرة على أن تلتقط كل ما هو إيجابي في الحضارات والثقافات والأديان واللغات والعادات.
- المفاهيم القرآنية سننية نظامية أي أن بناءها المنهجي نسقي منتظم منضبطة مواقعه وتراكيبه ودلالاته ضمن نسق كلي ناظم ثم ضمن أنساق فرعية وجزئية تفصيلية كما قال سبحانه: ﴿ٱلٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

[1] انظر: المرجع السابق، ص 42-49.

- المفاهيم القرآنية عملية وواقعية أو حركية وذلك باعتبار أنها نزلت إلى إنسان مكلف مستخلف مدعو إلى أن يتمثل هذه المفاهيم حسب جهده وطاقته وأن يبني بها حضارته وأن يعمّر بها الكون وأن يحقق بها استخلافه ووراثته.
- المفاهيم القرآنية مصدقة ومهيمنة فباعتبار أن القرآن الكريم مصدق ومهيمن كان تصديقه لمفاهيمه بتقريره للإيجابي منها واستيعابه ودمجه ضمن نسقه مادام لا يخالف سنة شرعية أو كونية أو نفسية اجتماعية. وأما هيمنته عليها فتقويمه وتصويبه لها من خلال عملية النقل والمراجعة بالحجج والأدلة العقلية والنقلية والحسية والنفسية ومن كل مدخل اقناعي ممكن يرشد الانسان للتي هي أقوم.
- المفاهيم القرآنية نسقية تكاملية فالمفاهيم في القرآن عموما تبقى منظومة تقوم بوظائفها ضمن نسق تكاملي إمدادا واستمدادا وفق منطق ونظام خاص هو من سنن الله الدينية الشرعية المعادلة أو المكافئة لسننه الكونية القدرية.
- المفاهيم القرآنية **معيارية نموذجية** أي مرجع يحال عليه فيكون حكما فيصلا في النزاع والاختلاف ومقومات للاعوجاج والانحراف. فمعياريته تتجلى في وزن الأقوال والأفعال والتجارب المختلفة بميزانه إذ هو الحجة عليها وليست هي بحجة عليه. وأما نموذجيته فهي مناط الاقتداء والتأسي فيها وفي المثال التطبيقي لها المتجسد في السيرة النبوية الحافلة.

ثالثا: كيف نتعامل مع المصطلح المستعار أو المنقول؟

بدأ د. شبار هذا العنوان بما يمكن أن يصطلح عليه مقدمات علمية أسطرها كالآتي[1]:

المقدمة الأولى: تتلخص أهم مشكلات الأمة الحضارية في:

- النقل من غير حاجة داعية
- النقل من غير ضوابط واقية
- التوظيف من غير خطة بانية

المقدمة الثانية: انبثقت إشكالية أو أزمة المصطلح والمفهوم في تراثنا العربي الإسلامي من:

- عوامل داخلية متمثلة في التأويل والتحويل والتحريف في الفهم والاستعمال للمصطلح التراثي
- عوامل خارجية (عمقت المشكلة) وهي المصطلحات والمفاهيم الوافدة المعبر عنها في تراثنا بالدخيلة او المنقولة.

المقدمة الثالثة: يكمن خطر المصطلحات والمفاهيم الوافدة في ثلاث نقاط أساسية:

1. مدى الحاجة إلى النقل وضرورته
2. كيفية هذا النقل ومسطرته
3. في التعامل مع المنقول والإفادة منه في الثقافة المحلية.

1- الاستعارة والنقل: التجربة التاريخية والمعاصرة

أرّخ د. شبار لتاريخ التعامل مع المصطلح المنقول والمستعار كما ألفناه بمقارنة بين منهجي التجربتين التاريخية والمعاصرة.

أ- في التجربة التاريخية

ذكر د. شبار أن مشكلة المصطلح الدخيل أو المنقول ليست من المشكلات الحديثة في الأمة بل كان ميلادها مع ميلاد هذه الأمة ونشأتها مع نشأتها لتتقلب بعد ذلك في أقدار وأطوار تاريخية من حيث القوة والضعف في دمج ذاك الدخيل واستيعابه والهيمنة عليه. وأشار إلى أن موضوع المصطلحات الدخيلة أو لغات العجم قد نوقش قديما في مباحث اللغة والفقه على أعلى مستوى لوقوع تلك المصطلحات في القرآن الكريم. ولكثرة تخريجات العلماء اختار د. شبار طرحا توفيقيا مستعينا بنص لأبي عبيدة[2] واعتبره حاسما للخلاف الدائر بين اللغويين والفقهاء؛ إذ "لا يهم إن كانت هذه الحروف من

---

[1] انظر: المرجع السابق، ص 101، 102.

[2] قول أبو عبيدة: "والصواب من ذلك والله أعلم مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف

أصل عربي أو من أصل عجمي ما دام تأثير هذه الألفاظ منعدما وأنه قد تم استيعابها ودمجها في اللغة العربية تؤدي وظيفتها فيها بإحكام وإتقان كما في النص القرآني سواء كانت الألفاظ عربية وافقت لغة أخرى أو أجنبية تعربت.

وقد كان هذا دافعا ومشجعا للعلماء (كالجواليقي (توفي: 540هـ) وأبي حيان (توفي: 745هـ) والسيوطي (توفي: 911هـ)) على الاعتناء بالمصطلحات المعربة أو الدخيلة المنقولة عن العجم وعلى وضع مقاييس وضوابط للنقل والتعريب ومستويات في التعامل"[1].

فمن شروط التعامل مع المصطلحات الدخيلة أو المنقولة في التجربة التاريخية التي ذكرها د. شبار نجد[2]:

- الضرب الأول إذا لم يعرف معنى الاسم جاز أن يكون محرما فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه ولهذا كرهت الرُقى العجمية كالعبرانية والسريانية أو غيرها خوفا من أن يكون فيها معان لا تجوز قال ابن تيمية وإن جهل معناه فأحمد كرهه. قال د. سعيد شبار معلقا: التمكن منها بمعرفة معانيها ودلالاتها ومعرفة مجالها التداولي الذي تنبه له علماء الأمة منذ وقت مبكر وما يزال من الشروط الأولى المقررة نظريا على الاقل حتى في فكرنا المعاصر.
- الضرب الثاني كراهة أن يتعوذ الرجل النطق بغير العربية فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون.

وقد أشار أيضا إلى ما سطره الإمام الشافعي من منهجية في التعامل مع الإنتاج الأجنبي قائلا: "وما وجد في كتبهم (أي كتب الأجانب) فهو مغنم كله وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه. فإن كان علما من طب أو غيره لا مكروه فيه باعه كما يبيع سواه من المغانم وإن كان كتاب شرك شقوا الكتابة وانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم معه ما هو"[3].

بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال عجمية فهو صادق". ابن فارس، أبو الحسين، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، د.م.ط: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص33.

[1] انظر: شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 104، 105.

[2] المرجع السابق، ص 106، 107.

[3] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، **الأم**، باب كتاب الأعاجم، بيروت: دار الفكر، ط2، 1403هـ-1983م، 4/ 279.

وأشار سريعا إلى مستويات في الدمج الكلي التام للمصطلح والدمج الجزئي غير التام[1] مستندا بما تقدم عند السيوطي وأبي حيان في الدمج الجزئي أو من حيث فقدانه لكل تلك الخصائص ليعطى وظائف وخصائص جديدة في الدمج الكلي.

ب- في التجربة المعاصرة

أما في التجربة المعاصرة فرصد منهجيات للتعامل مع المنقول والمستعار: وذكر منها الجهود المؤسساتية والجهود الفردية كما يلي:

أما ما يتعلق بالجهود المؤسساتية فذكر:

1. المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا الذي اعتمد منهجية الاستيعاب والدمج والتجاوز في سياق من التصديق والهيمنة للقرآن وحضارته.
2. مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) في شخص مؤسسها د. الشاهد البوشيخي الذي حدد معالم التعامل مع سائر المصطلحات مستعينا بخطة علمية شاملة حاسمة لمواجهة ما أسماه بعضهم بالطوفان المفهومي[2]. هذه الخطة التي سطرها هي الآن تطبّق من طرف أعضاء المؤسسة.

أما ما يتعلق بالجهود الفردية فذكر[3]:

- مالك بن نبي الذي تحدث عن منهجية دمج المستعار وتحويله بصورة طبيعية لينسجم مع نظام الحياة الإسلامية. وقدّم الشروط التي يجب توافرها في الاستعارات الضرورية وهي تخضع بدورها عنده لمنهجية أعم تتحدد في: اختبار متعمد، واختيار بين وسيلة وأخرى ثم دمج المستعار بصورة طبيعية في الحياة الاسلامية أي اختبار واختيار ودمج.
- محمد عابد الجابري الذي تحدث عن عملية تبيئة المصطلح المستعار وهي جعل المفهوم الأداة الذي ننقله من ثقافة أخرى يسكن منزلنا يتكيف مع نظامه ومعطياته حتى يستطيع التعبير فيه وعنه تعبيرا مطابقا وتفيد هذه العملية أيضا عدم التقيد حرفيا بالمضمون الذي تحمله في مجالات استعمالها في حقول الثقافة الغربية وجعلها تتسع دون تشويه للتعبير عن المضامين التي يعرضها الموضوع المحلي...

---

[1] شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 104، 105.

[2] البوشيخي، الشاهد، **دراسات مصطلحية**، القاهرة: دار السلام، ط2، (1433هـ-2012م)، ص 42.

[3] انظر: شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 111-114.

- طه عبد الرحمن الذي تحدث عن التقريب التداولي للمصطلح وهو وصل المعرفة المنقولة بباقي المعارف الأصلية أو جعل المنقول مأصولا وبما أن الوصل في جوهره وصل بما هو أصلي فإن التقريب هو جعل المنقول مأصولا. واختار الكاتب علمين هما المنقول الأصلح للنظر في التقريب علم المنطق وعلم الأخلاق وعلى هذا يكون تقريب المنطق هو جعل أبعد المنقولات في التجريد النظري مأصولا ويكون تقريب الأخلاق هو جعل أبعد المنقولات في التسديد العملي مأصولا. ويميز طه بين التقريب وبين ما يمكن أن يكون قريبا من معناه كالتوفيق والتسهيل والمقاربة. وحدد له شرائط ثلاثة: شرط التصحيح التداولي أي أنه لا تقريب بغير تصحيح ... شرط التداول الأصلي أي أنه لا تصحيح بغير قواعد المجال التداولي الأصلي... شرط اليقين التداولي أي أنه لا قواعد تداولية أصلية بغير يقين. وكل نقل يخل بهذه الشروط إن جزءا أو كلا يعد تقريبا فاسدا. وحدد ثلاثة معالم منهجية كبرى في التعامل مع المنقول والدخيل، كما تحدث عن شرائط التقريب (شرط التصحيح التداولي، شرط التداول الأصلي، وشرط اليقين التداولي). وتحدث أيضا عن ضروب التقريب الفاسد وهي كل نقل يخل بالشروط التي ذكرها. وذكر منها التقريب القلق مقابل الإخلال بشرط اليقين التداولي والتقريب المعكوس والتقريب المنكوس مقابل الإخلال بشرط التداول الأصلي والنقل المقلد، النقل المستلب، النقل المتعصب، والنقل المستهتر، مقابل الإخلال بشرط التصحيح التداولي.
- برهان غليون الذي تحدث عن منهجية الاستيعاب وإعادة البناء أي استيعاب المفاهيم والمصطلحات وإعادة بنائها.

ثمّ أكّد د. شبار على أنه "بعد أن تزايدت قوة وأتباع اتجاه الاهتمام بالمصطلحات والمفاهيم المنقولة وبطرق وإمكانيات نقلها وتوظيفها من بين اتجاهي الرفض المطلق لعملية النقل مشروطا أو غير مشروط وهو اتجاه متجاوز واقعا وعمليا. واتجاه القبول المطلق من غير شروط وهو اتجاه آخذ في الضعف والانحصار، ساد الوعي بأن نظام الثقافة والمعرفة بشكل عام يتأثر سلبا بالدخل أو النقل غير المنضبط أو الممنهج الذي تحول إلى غزو معجمي وثقافي أصبحت بموجبه اللغة والثقافة المحلية تابعة ولاحقة لا مهيمنة ومستوعبة. فانقلبت عملية الدمج لتقوم بدور عكسي إذ أصبح التحكم بيد الدخيل لا بيد الأصيل. وكان أبرز اختبار أولي أفضى إلى قناعته تلك هو تجربة رواد النهضة الأوائل الذين أرادوا معالجة اشكالية التخلف من خلال النموذج الأوروبي فقاموا بعدة مقارنات ومقاربات لم تفض إلى نتيجة بناء أو تقدم بقدر ما أتاحت من فرص ومداخل لنشوء تيارات التغريب والتبعية بما نقلوه من أوصاف ومظاهر القوة والنظام والتقدم في مجالات الحياة المختلفة في الغرب لمجتمع يعيش نقيض تلك المظاهر والأوصاف من تخلف وفوضى وضعف من مجتمع آخذ في تغيير وتجاوز بناه التقليدية إلى مجتمع استحكمت فيه

مظاهر التخلف إلى درجة ألجأته إلى البحث عن حلول لها في تجارب الاخرين. فكان مما امتاز به عصرهم: التبعية الثقافية التي استندت أساسا على استيراد المفاهيم الذي أحدث بحد ذاته شرخا عميقا في اللغة أولا ثم في صيرورة إنتاج المعارف والعلوم ثانيا وتنتهي هذه التبعية بزيادة الحاجة الى استيراد المفردات اللغوية والمعارف في الوقت ذاته. وهذا ما لاحظه د. شبار اليوم ففي العصر الراهن تدخل المفردات الأجنبية بكثرة في اللغة وتفقدها دقتها ومرونتها وتركيباتها كما يزداد اعتمادنا على استيراد الخبرة العلمية الأجنبية وتبدو إجراءات التعريب ضعيفة وغير فاعلة أمام سهولة إدخال التعابير والكلمات الأصلية الغربية من قبل القسم الكبير من المثقفين كما تبدو اجراءات تنشيط عملية إنتاج المعارف محليا عن طريق بناء مراكز البحوث ضئيلة الأثر طالما بقيت المراكز الأساسية وهي الجامعات عاجزة عن تقديم التكوين الصحيح لجيل الباحثين. والذي يميز الثقافة العقلية لدينا وبالدرجة الاولى الخوض في استخدام المفاهيم الحديثة المستقدمة مع التطور العصري وعدم الدقة في استيعابها وهضمها"[1].

وبالتالي يمكن أن نستنتج من هذه الجولة التاريخية أن "استيعاب المفاهيم لا يمكن أن يتم إلا في إطار توسيع قاعدة الإنتاج المحلي للمعارف التي تدخل فيها المفاهيم كأدوات لتحليل الواقع المحلي وتحديد وسائل المعرفة الضرورية وإشكالياتها... والأثر الأول لهذه العملية ما كان يمكن أن يكون إلا إثارة الشك في القيم السائدة ثم تفكيك منظومة القيم أيضا تدمير أسس المجتمع المدني الذي يستند إليه البناء السياسي والاقتصادي معا. وهذا ما تمت الإشارة إليه بالآثار السلبية للوافد على نظام الثقافة واللغة المحلي عندما يعجز هذا النظام عن استيعاب ذلك الوافد"[2].

2- خطوات النقل والاستعارة

دبّج د. شبار خطوات لنقل أو استعارة المفهوم وهي كالآتي:

"الدعوة والتأكيد على ضرورة التمكن من المصطلح والمفهوم قصد تشخيصه وفحصه لا مجردا فحسب بل أيضا وهذا أهم في مجاله التداولي الأصلي بأي من المنهجيات السالفة كانت. وذلك بتفكيك المفهوم وإزالة روح الصنمية والقداسة عنه وفهم الوظيفة الرئيسية والتوظيفات الممكنة له وإعادة بنائه من وجهة نظر الحاجات والتوظيفات المحلية أو الذاتية. فالمنهج السليم لتحديد دلالات أي مفهوم هو الرجوع إلى جذور المفهوم في لغته وتتبع دلالاته في مصادرها الأساسية ومحاولة تجريد هذه الدلالات ثم إعادة دمجها في الواقع المعاصر، بل خلعها من ظلال الزمان والمكان واختلاف الخبرات والوقائع. وذلك دون الافتئات على ماهية المفهوم وجوهره، بل صقل الجوهر وتنقيته من الشوائب سعيا للوصول إلى المعنى الحقيقي المجرد من خصوصيات الاستعمال التاريخي. وبعد شرط التأكد من قيام الضرورة على النقل

---

[1] انظر: المرجع السابق، ص 111-117.

[2] المرجع السابق، ص 117. ينظر: غليون، برهان، **مجتمع النخبة**، بيروت: معهد الإنماء العربي، ط1، 1986م، ص 227 وص 274.

والتحقق من إفادته أضاف د. شبار شرطين أساسيين آخرين استقاهما من المستشار طارق البشري؛ شرط يقوم على الفصل وآخر يقوم على الوصل أي أن نفصل بين النموذج التنظيمي المطلوب استدعاؤه وبين الأساس العقدي والأيديولوجي الذي تولد عنه في بيئته الأصلية ووصل هذا النموذج التنظيمي وربطه في السياق العقدي الحضاري السائد في البيئة المستدعى إليها"[1].

رابعا: كيف نتعامل مع المصطلح والمصطلح العلمي التقني البحث؟

1- تجريد المصطلح والمفهوم

إن طرح إشكالية إمكانية تجريد المصطلح والمفهوم تماما عن الظلال والمعاني والدلالات المحلية التي نشأ ونما فيها -حسب د. سعيد شبار- هو "طرح جزئي لقضية كلية طرفها الآخر هو قدرة وإمكانات البيئة الثقافية واللغوية المستقبلة على الدمج والتبيئة والتقريب والاستيعاب... وتوفير الأرضية أو المجال القوي الذي بإمكانه أن يؤثر ولا يتأثر ويوجه ولا يتوجه. فأي المجالين كان أقوى كانت قدرته على استيعاب الاخر أيسر"[2]...."لذا فإمكانيات الدمج الكلي أو الجزئي هي رهينة قوة وضعف الثقافة واللغة الدامجة فالذي يحدد وجود الضرر أو عدمه ليس النقل في حد ذاته وإنما وجود الوصل أو عدمه فالمنقول الموصول غير ضار لأنه ينزل منزلة المأصول والمنقول المفصول ضار لأنه ينزل منزلة المبتور...والبدء بتقوية واستنهاض المصطلحات والمفاهيم المحلية لتكون المعبر الأصلي والأول عن التوجه الحضاري للأمة مقدم كل التقديم وبجميع وسائل الترجيح نقلية وعقلية تاريخية وواقعية عن خوض غمار أية مواجهة أو الدخول في أي صراع من هذا المستوى مع الآخر وإلا فلن يكون الحصاد إلا مزيدا من الاختراق والتبعية والاستلاب"[3].

"يذهب بعض المهتمين إلى أن الباحث في المصطلح التراثي عليه أن يهتم أولا وقبل كل شيء بلحظتين أساسيتين في حياة المصطلح؛ لحظة الميلاد ولحظة استئناف الحياة.

والأسئلة الأساسية التي يجب أن توجه البحث حول اللحظتين معا هي أسئلة من النوع التالي:

- ما هي الشروط التي تحكمت في ميلاد مصطلح ما؟
- ما هي المرجعية التي يستند إليها هذا المصطلح؟
- هل هو مصطلح فريد أم أنه جزء من جهاز مفاهيمي معين؟

ثم الانتقال بعد ذلك إلى درجة أعلى تطرح فيها أسئلة من قبيل:

---

[1] انظر: سعيد شبار، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 118-120.

[2] المرجع السابق، ص 120.

[3] المرجع السابق، ص 121.

- ما هي قابلية المصطلح التراثي لإعادة استعماله وإعماله بمعنى توظيفه في إنتاج المعرفة في الحياة المعاصرة؟
- وما هي قابليتنا نحن؟
- ما هو استعدادنا للقيام بمهمة توظيفه وإعماله في عالمنا المادي والفكري الذي يختلف جذريا عن العالم الذي ولد فيه مصطلحنا التراثي وعاش في إطاره وحدوده؟

وكلها أسئلة يمكن أن تعزز بأسئلة منهجية وإجرائية أخرى متوجهة إلى الذات والتقويم الداخلي أساسا"[1].

ولمعالجة خلل التحيز في المصطلح المنقول المترجم او المعرب استند د. شبار إلى اقتراح د. المسيري: "ألا نترجم على الاطلاق وإنما ننظر للظاهرة ذاتها سواء في بلادنا أو بلادهم ندرس المصطلح الغربي في سياقه الأصلي دراسة جيدة ونعرف مدلولاته حق المعرفة ثم نحاول توليد مصطلحات من داخل المعجم العربي والمصطلح الذي سنأتي به سوف لا يكون ترجمة حرفية أي نقلا دون اجتهاد للكلمة الأصلية ولكنه مع هذا وبسبب هذا تسمية للظاهرة من وجهة نظرنا. أي أننا سنولد أو نصك مصطلحا يصف ما نرى نحن ويفسره من وجهة نظرنا متجاوزين بذلك تسميات الآخر وادعاءاته وأوهامه وحدود رؤيته وهذا لا يعني بالضرورة انغلاقا على الذات وإنما يعني انفتاحا حقيقيا على الآخر بدلا من الخضوع له تماما أو رفضه تماما. فالانفتاح الحقيقي هو عملية تفاعل مع الآخر نأخذ منه ونعطيه ونبدع من خلال معجمنا"[2].

2- المصطلح التقني البحث

نبه د. شبار إلى وجود إشكال مصطلحي آخر في فكرنا المعاصر "وهو جزء في الواقع من الاشكال المتقدم وعلاجه كعلاجه إلا أن خصوصيته تتمثل في كونه ينتمي إلى المصطلح العلمي البحث الطبيعي والتجريبي وكذلك البدهيات العقلية أو ما يعبر عنه بالمشترك الانساني أو ما لا جنسية له ولا وطن ولا هوية ولا دين بخلاف المصطلحات المعبرة عن الخصوصيات الملية والمعرفية أو التمييز بين مشكلات الإنسان ومشكلات المادة فمجال المجتمع ليس كمجال الميكانيكا ولا هو يرتضي كل الاستعارات لأن أي حل ذي طابع اجتماعي يشتمل تقريبا ودائما على عناصر لا توزن ولا يمكن تعريفها على حين تعد ضمنا جزءا منه لا يستغني عنه"[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 122، 123.

[2] المرجع السابق، ص 123. ينظر: عبد الوهاب المسيري، **هاتان تفاحتان حمراوان، دراسة في التحيز وعلاقة الدال بالمدلول**، ضمن أعمال مؤتمر "إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد"، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، (1417هـ-1996م)، ص 184، 185.

[3] شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 124.

في الوقت الذي يتبنى فيه مفكرين هذا النوع من التمييز يقترح آخرون أن "نكوّن تصورا للتكنولوجيا كمحور من محاور التغيير الاجتماعي والحضاري يعمل في تناغم مع المحاور الاخرى لا أن نتصورها كتذكرة جاهزة نبتاعها كي نستقل مركبة التحديث الغربي تاركين وراءنا حقيبة الماضي والتراث والمصطلح (نقل التكنولوجيا) كما يستخدم اليوم يرتبط بمغالطتين في منتهى الخطورة:

- يفترض المصطلح علاقة نقل أحادية الاتجاه بين طرفين أحدهما فاعل إيجابي يعطي والآخر سلبي متلقي يأخذ وإن عملية النقل تشبه ملء وعاء شاغر لا يتغير شكله خلال عملية النقل. وأخطر ما يرتبط بهذا التصور الافتراضي الضمني بأن الطرف المتلقي ليست لديه تكنولوجيا فالفهم الدارج لنقل التكنولوجيا لا يضع أي اعتبار للتفاعل مع قدرات تكنولوجية محلية ما إنه يفترض وجود فراغ تكنولوجي يتوجب بالتالي ملؤه.
- يفترض المصطلح أن التكنولوجيا هي شيء يمكن نقله من سياق اجتماعي حضاري لآخر وهذا غير صالح بالمرة وتؤكد الدروس المستفادة من هنا ومن هناك في دول العالم الثالث أن التكنولوجيا غير قابلة للنقل ويشترط في القدرة التكنولوجية مراحل أربعة:
  1. الاستيعاب (البحث عن البدائل المتاحة تخطيط...)
  2. التشغيل (تشغيل المصنع الصيانة ضبط الجودة والمخزون...)
  3. التطويع هضم التكنولوجيا أو التمكن من تقليد المنتج وتعديله...)
  4. الإبداع (بحوث للتطوير تعديلات جوهرية ابداع منتج جديد...) فمن الممكن نقل مكونات من القدرات والتكنولوجية في مراحل الاستيعاب والتشغيل فحسب فإن لم تبدل جهود مضنية لبناء قدرات تكنولوجية ذاتية لن يمكن أبدا الدخول إلى المراحل التالية وهي التطويع والإبداع وهي المراحل الحاسمة للاستقلال التكنولوجي"[1].

وهذا النص في حقيقة الأمر –كما أشار د. شبار– "يدل دلالات تقوي الاتجاه الذي يماثل بين النقل والاستعارة في العلوم الملية والانسانية عموما والنقل والاستعارة في العلوم التجريبية والعقلية البحتة. فمنهجية النقل هنا كمنهجية النقل هناك والمصطلحات الموظفة في الاستعارة هنا كتلك الموظفة في الاستعارة هناك ليس بينها فارق كبير غير الفروق التقنية حسب المجال. فالدمج والتبيئة والتقريب والاستيعاب كالاستيعاب والتشغيل والتطويع والإبداع من حيث المقاصد والغايات الحضارية للأمة وكما ينبغي لنظام المعرفة في العلوم الأولى أن يؤهل نفسه بتقوية مجاله وتوسيع أفقه حتى يتمكن من الاستيعاب والدمج وينبغي أيضا لنظام المعرفة والعلوم الثانية أن يفعل الشيء نفسه حتى يتمكن من استيعاب المنقول

[1] المرجع السابق، ص 125، 126. الموصلي، إبراهيم حامد، "**التكنولوجيا" و"التنمية" من منظور حضاري**، مجلة منبر الشرق، المركز العربي الإسلامي للدراسات، ع.9، 1993م، ص 95، 50، 51.

وتطويعه أو حسب عبارة مالك نبي أن نهيئ في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصور من حلول لمشكلاتنا. والذي لا خلاف حوله ان وراء أي إنتاج علمي نظام من المعرفة الموجهة أو جملة من الرؤى والتصورات الحافة به تشكل مرجعيته الفلسفية ومهمة الثقافة الناقلة هنا تكمن في مدى قدرتها على تحديد جملة من الرؤى والتصورات أو مرجعية جديدة توجيهية وتسخيرية حتى يتسنى لهذا المنقول أن يفعل في الاتجاه الإيجابي إلى السلبي سواء تم تطويعه وتجاوزه بالإبداع المحلي أو بقي على أصله وهذا يتطلب أول ما يتطلب نهضة في هذه الثقافة وتماسكا بين عناصرها الثابتة والمتحركة"[1].

[1] سعيد شبار، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، مرجع سابق، ص 126، 127.

خاتمة:

خلص النظر في هذا الكتاب إلى:

1. أن الجهود المبذولة لخدمة المصطلحات والمفاهيم مازالت قليلة بالمقارنة مع حجم ما تعانيه الأمة من أمر مصطلحاتها سواء كانت شرعية أم تراثية أم وافدة.
2. أن الفصل بين المصطلحات الشرعية والاصطلاحات التاريخية، والاهتمام بالمصطلحات الشرعية الأصل من الأمور الحاسمة والفورية في سبيل نهضة فكرية وثقافية أصلية في الأمة وإيقاف لنزيف الاختراق والتبعية والاستلاب في كيانها.
3. أن إعادة بناء المصطلح التراثي وتحويله من جديد إلى مفتاح للعلوم تتأتى بضبطه في مجالات ثلاثة أساسية هي:
   - المجال اللغوي
   - المجال الشرعي
   - المجال الاصطلاحي المتأخر
4. أن الإشكالات التي تواجهها المصطلحات والمفاهيم والمنقولة كبيرة والحل المناسب لها رهين بالتوحد على منهاج عام في النقل والاستعارة:

   أولا: التأكد من الحاجة او الضرورة الداعية إلى النقل والاستعارة

   الثانية: التمكن من المجال التداولي للمنقول والمستعار

   ثالثا: الاختيار بين وسيلة وأخرى حسب درجة النفع

   رابعا: التمكن من وظيفته وتنزيله أو القدرة على دمجه واستيعابه

   خامسا: تتبع مآله وآثاره وما يؤدي إليه من نتائج.
5. أن الاهتمام بالمصطلح القرآني يعتبر وسيلة لإعادة تشكيل العقل المسلم وصياغة مناهج تفكيره ليستقيم فكره ويحقق الرشد المنهجي.
6. أن المفاهيم تشكل قاعدة مركزية تؤثر في تشكيل حركة الوعي المعرفي للأمة بتاريخها وتفسر أحداثه بل وتوجه مستقبله.
7. أن المفاهيم تشكل الأساس الذي يبنى عليه الإبداع بما هو ثمرة الوعي الداخلي للأمة التي تستشعر تحيزاتها المفهومية واللغوية. فإذا استوعبت مفاهيمها المرجعية ومآلاتها في الانسان والطبيعة والمجتمع، ومفاهيم غيرها وسياقاتها ومآلاتها ووظائفها أتاحت لنفسها بهذه الممارسة التناقضية أبعادا جديدة لتبدع في مستويات عدة كما أبدع الصدر الأول.

لائحة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. ابن فارس، أبو الحسين، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، د.م.ط: محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.
3. البوشيخي، الشاهد، **دراسات مصطلحية**، القاهرة: دار السلام، ط2، (1433هـ-2012م).
4. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، **الأم**، باب كتاب الأعاجم، بيروت: دار الفكر، ط2، 1403هـ-1983م.
5. شبار، سعيد، **الاجتهاد والتجديد في الفكر العربي المعاصر: دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية**، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2007م.
6. شبار، سعيد، **المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي**، بني ملال: مركز دراسات المعرفة والحضارة ضمن سلسلة الدراسات والأبحاث الفكرية 3، ط3، 2017م-1438هـ.
7. شيار، سعيد، **المصطلح خيار لغوي.. وسمة حضارية**، ط1، قطر: سلسلة كتاب الأمة، العدد 78، 1421هـ.
8. عبد الوهاب المسيري، **هاتان تفاحتان حمراوان، دراسة في التحيز وعلاقة الدال بالمدلول**، ضمن أعمال مؤتمر "إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد"، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، (1417هـ-1996م).
9. العضراوي، عبد الرحمن، **قراءة في كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية تأليف: الدكتور سعيد شبار**، *الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا)*، مجلد14، عدد53، 2008م. https://doi.org/10.35632/citj.v14i53.1183
10. غليون، برهان، **مجتمع النخبة**، بيروت: معهد الإنماء العربي، ط1، 1986م.
11. الموصلي، إبراهيم حامد، **"التكنولوجيا" و"التنمية" من منظور حضاري**، مجلة منبر الشرق، المركز العربي الإسلامي للدراسات، ع.9، 1993م.

مركز أفكار للدراسات والأبحاث

Afkaar Center for Studies and Research

htts//Afkaar.center

afkaarcenter@gmail.com

facebook.com/afkaarcenter